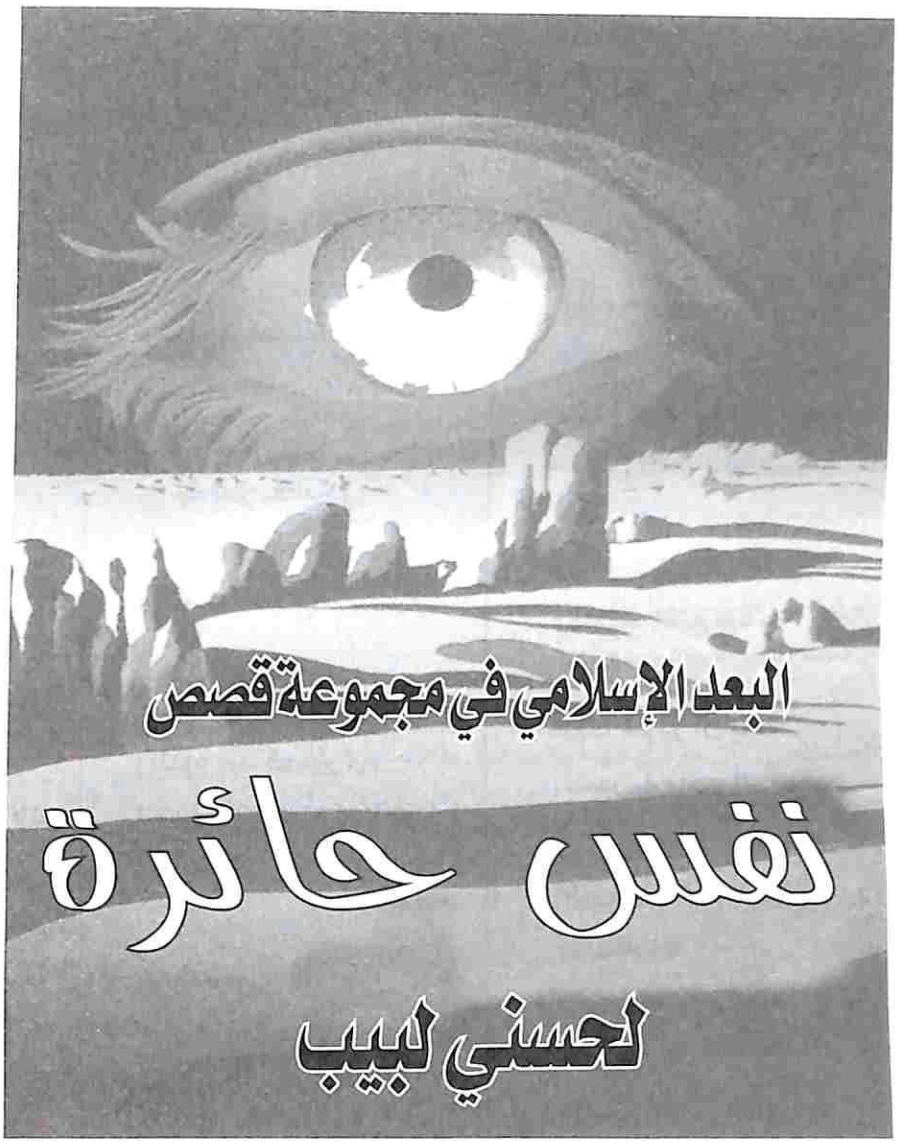

تمثل مجموعة «قصص نفس حائرة» للروائي حسني سيد لبيب، أحدث مجموعة قصصية له، إذ صدرت عام ١٩٩٩م... فهل يمكن اعتبارها - بوضعها الزمني هذا - ممثلة لأحدث مرحلة من مراحل تطوره الفكري والفني؟

بقلم: د. سعد دعبيس*
مصر

بادئ ذي بدء نحب أن نشير في مستهل هذه الدراسة، إلى أنها تمثل جزءا من محاضرة ألقيتها في« رابطة الأدب الإسلامي العالمية - فرع القاهرة، وأعتقد أن إسهام الرابطة في تناول قضايا الفن الروائي، بجانب قضايا الأدب الأخرى، يمثل صحوة فكرية وفنية، ذلك لأن الرواية المعاصرة، والمسرح المعاصر، أو لنقل:«الدراما» المعاصرة، لم تعد مجرد فنون للمتعة الفكرية، والتذوق الجمالي فقط... بل أصبحت بجانب ذلك، أخطر أسلحة المواجهة الفكرية في حرب العقائد والأيديولوجيات، وقد يفيد في ذلك المجال الإشارة إلى الدور الخطير الذي قامت به مسرحيات الفلسفة الوجودية على يد«سارتر» و«ألبير كامي»... والمسرح الاشتراكي، ومسرح العبث، والإشارة أيضا.. إلى الدور المشبوه الذي قامت به رواية« وليمة لأعشاب البحر» لأحد الكتاب الماركسيين.. وكيف احتشد لمساندتها، والترويج لأفكارها بعض الكتاب الذين لهم توجهات علمانية، أو يسارية في الوقت الذي لم يحتشدوا فيه لمساندة المرابطين على ثغور القدس والأقصى.. أو مساندة أطفال العراق.. الذين يموتون جوعا.. ومرضا.. لم تعد الرواية - إذن- بريئة.. من دماء شهداء فلسطين، أو شهداء الشيشان.. أو شهداء العراق..؟

* الأستاذ بتربية عين شمس - القاهرة .

ومن ثم.. كانت إشارتي في بداية المحاضرة.. وإشارتي أيضا باهتمام «الرابطة» بفن الرواية وفن القصة القصيرة وعقد المسابقات في مجلة «الأدب الإسلامي» لفنون «الدراما».. وإذا كان لي من ملاحظة على مداخلات هذه المحاضرة فهي أني أود توجيه النظر.. إلى أننا حين نريد أن نواجه مخالفينا في الرأي.. ومن يقفون منا موقف العداء في الرؤية والمنهج.. ممن لهم إبداع في مجال الشعر أو «الدراما»، أو النقد الأدبي.. يجب أن نواجههم بمنطق مقنع.. لا بمنطق متشنج.. علينا أن نقرأ ما كتبوا.. وأن ندرس ما ألفوا.. وأن نقف بعد ذلك.. موقف الفاحص الواعي، والناقد المتيقظ، فإذا وجدنا إيجابية لديهم، قلنا لهم: أهلا وسهلا، وإذا وجدنا سلبية لديهم كشفنا لهم باطلها، ودحضناها بمنطق هادئ متزن، وإذا وجدنا مقولاتهم أحيانا.. تتكفل بالرد عليهم، وتجلية حقائقنا، استشهدنا.. في حوارنا معهم بمقولاتهم.. والحكمة ضالة المؤمن.. ينشدها أنى وجدها..

وهذا النهج الذي يدعو إلى كلمة سواء.. بيننا وبين من يختلفون معنا.. فكريا.. أو أيديولوجيا وعقائديا هو المنهج الذي التزمته في هذه المحاضرة.

تيار التحليل النفسي في الرواية الأوربية المعاصرة:

لعل أبرز مراحل التطور الروائي في العصر الحديث - كما يبدو في إبداع كبار الروائيين في العالم - لعل أبرز هذه المراحل يبدو في تلك النوعية التي اتجهت إلى تحليل النفس البشرية، والغوص إلى أعمق أعماق الإنسان، بحثا عن الأدواء والعلل الخبيثة الكامنة في النفس البشرية، بغية إصلاحها، وسعيا وراء إنقاذها.. هذا ما نجده لدى (دستوفسكي) في روايته «الإخوة كارامازوف».. وتبدو وحدة القصة فيها- كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال- في: ظاهرة «القلق» الذي يحاصر قلوب جميع أفراد الأسرة (أسرة كارامازوف) وهو: قلق فكري.. ومن ثَمَّ فالقصة تحليل «دقيق للنفس الإنسانية في نوازعها الخفية، وفيها يشرح المؤلف الأفكار التي تساور كل قلب، دون أن يستطيع صراحة مواجهتها، على حين هي تصطرع دائما في كل نفس، ومن هذا الصراع يتجلى بؤس الإنسان الذي يدفعه إلى الهاوية، ولكن الإنسان - مهما بدا خبيثا شريرا - له مع ذلك، باطنه الطيب الذي يتراءى في أشد المواقف يأسا [1]..!

كما يمكن أن نجد نموذجا آخر للتحليل النفسي الرائع في تلك الرواية الملحمية «يولبسيس» لجيمس جويس. حيث نجد فيها خلاصة وافية قوية.. لكل ما عاناه الفكر الإنساني بين الحربين العالميتين، وموجز ما انتهى إليه التحليل لطوية النفس الإنسانية، والحديث بالنفس فيها يكشف عن صدى التجارب الإنسانية المضطربة في الفكر المكبوت، ويناظر المؤلف بين حوادث قصته التي تدور في (إيرلاندا) وبين حوادث (الأوديسا).. وحوادث القصة لا يسودها المنطق، ولكن هدفها الإيحاء والرمز، وتدور في أقل من يوم.. والحوادث فيها تعلّة لتأملات نفسية، يصعب تحديدها، والإفضاء بها لدقتها...»[2].

البعد الإسلامي في مجموعة قصص «نفس حائرة»:

يمكن أن نقول: إن ملامح البعد الإسلامي في هذه المجموعة تبدو في عدة مظاهر:

أولا: تيار التحليل النفسي - كما يبدو في قصة «نفس حائرة» وغيرها، فهذا التيار - كما يبدو من هذه المجموعة القصصية، يمكن أن يكون منطلقا لأدب إسلامي، أو يقترب.. مع الأدب الإسلامي، إذ يقوم بتحليل أعماق النفس العربية المعاصرة، محللا أدواءها وعيوبها، باحثا أيضا عن مظاهر الصحة والقوة فيها، ويرى كثير من المفكرين أن إصلاح النفس الإنسانية من جذورها، هو البداية لإصلاح العالم، لا مجرد إصلاحات سياسية، أو .. نظم حكومية.. وهذه هي رؤية الإسلام لإصلاح المجتمع ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾..!

يقول (دستوفسكي).. متحدثا عن قصص معاصره (تولستوي):

« لقد قام (الكونت تولستوي) بعمل إنساني هائل في تحليل النفس البشرية، فبرهن لنا على أن الداء خبيء في الإنسانية، وأنه أعمق كثيرا مما يعتقده الأطباء وعلماء الاجتماع، وأن جذوره غائصة متمكنة.. لا في.. نظام اجتماعي معين، ولكن في النفس الإنسانية.. في ذات الإنسان نفسها، فلا يصح نشدان السلام في الإصلاحات الاجتماعية والحكومية. ولكن.. في تجديد الإنسانية نفسها، وفي نشر الإحسان والتسامح»[3].

وفي رواية «الإخوة كارامازوف» لدستوفسكي، يتجلى دائما صراع الخير مع الشر دائرا حول قضية الإيمان بالله».. وفي ذلك يقول:[4].

«إن المسألة الأساسية التي أتتبعها في كل أجزاء هذا الكتاب، هي تلك التي نؤت بعبئها شعوريا.. ولا شعوريا.. طوال حياتي.. ألا وهي:«وجود الله».

ثانيا: أما الملمح الثاني للبعد الإسلامي في مجموعة قصص«نفس حائرة» فهو: **«إيمان المؤلف بمبدأ الالتزام الأخلاقي»** في تصوير شخصياته القصصية، ومبادئه التي ينادي بها في هذه القصص، وأفكاره التي يطرحها، وفي ذلك يقول الروائي«محمد جبريل» [٥] الذي قدم لهذه المجموعة، مشيرا إلى تشديد أحد النقاد الأوروبيين، على أن الأدب الرفيع، لا بد أن يتمتع بمغزى أخلاقي:

«أنت تستطيع أن تدفع بقصص حسني لبيب، إلى أفراد أسرتك دون أن تخشى على المشاعرالرقيقة من لفظة نابية، أو تعبير جارح، أو وصف يثير الغرائز».

ولعل هذاالالتزام الأخلاقي في لغة الحوار في هذه المجموعة القصصية، يوقظنا على الهاوية السحيقة التي انحدر إليها بعض الروائيين المعاصرين الذين أصبحوا يتباهون الآن بروايات تتبنى الدعوة إلى القبح في الشكل والمضمون، وإلى تبني معجم تعبيري يقوم على مفردات الجنس والشذوذ، والتعبد في محراب الجسم.. والسخرية من القيم الأخلاقية، والقيم الروحية.. وهؤلاء الروائيون يتظاهرون بحجم أكبر من حجمهم الحقيقي، وهم ينسون، أو يتناسون.. أنهم قردة يقلدون دعوة الشاعر الفرنسي (بودلير) في ديوانه«أزهار الشر» حين دعا إلى فلسفة جمال القبح..»[٦] ! أو يقلدون الاتجاه الهابط لبعض المسرحيات الوجودية لزعيم الوجودية الفرنسية (جان بول سارتر).. وبخاصة في مسرحيته التي عنوانها«جلسة سرية» حيث يقوم بناؤها الدرامي على ثلاث شخصيات شاذة منحرفة، هي: جارسان، وأستيل، وأنيز، وتدور أحداثها في الجحيم، والجحيم عند«سارتر» ليس بمعناه المعروف: نيران جهنم.. حيث لا تتوقف آلات التعذيب.. وإنما الجحيم عنده: أن تعيش مع الآخرين.. حسب مقولته الشهيرة:«الآخرون هم الجحيم»[٧]...!

إن مؤلف مجموعة«نفس حائرة»، يؤمن بمجموعة قيم ومبادئ ترتبط بقيم الإسلام ومبادئه ارتباطا كبيرا، فهو يؤمن في قصة«معاناة» بأن على الكاتب أن يكون ضمير الإنسان في ذوات البشر، وأن ينتصر للفكرة، حتى.. ولو خسر ماديا، يقول المؤلف في هذه القصة:« صديقي نصحني بأن أعنون الكتاب بكلمة الحب.. للرواج.. رفضت»

- لست بتاجر.. أنا أنتصر للفكرة .
- .. ولو خسرت .
- العنوان.. لا يعني شيئا
- نفس قصصك.. بالكلمة والحرف.. لن ينتقص منها شيء.. فقط.. عنوان جذاب..!

عاندت.. حرصت على العنوان الذي وضعته (الإنسان والحقيقة)[٨]..

ثم نجد في هذه القصة نفسها قيمة نبيلة أخرى هي: عدم استسلام الكاتب للظروف القاسية التي تحاصره، ووجوب مواصلة الكفاح.. مهما دميت أقدامنا على الطريق..

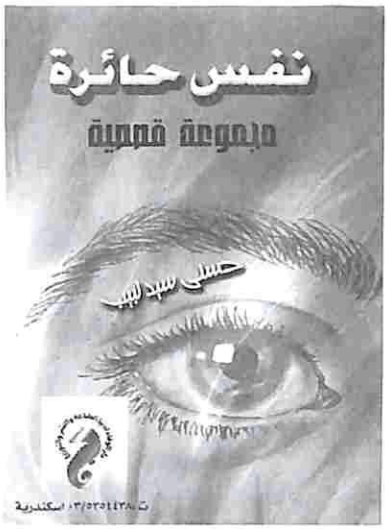

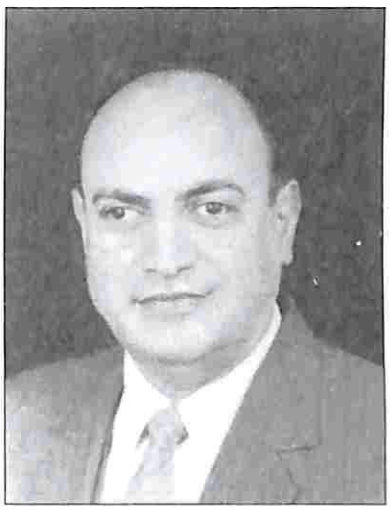
حسني لبيب

وفي قصة«رأس الأفعى» يتمثل حسه الإسلامي واضحا جليا.. إنه في هذه القصة يعالج مأساة الإنسانية كلها في عالمنا المعاصر، ويرمز المؤلف لمأساة الإنسان المعاصر بشخصية سجين مظلوم، حكم عليه بالسجن مدى الحياة في جريمة لم يرتكبها، ولا حيلة له إلا أن يكوم جسمه النحيل على كرسيه، ويشغل وقته في التنقل عبر قنوات (التليفزيون) ويقرأ في الجريدة التي تقدم له، تحقيقا عن مغتصبات (بوسنيات) مستضعفات.

«تحدثت (فاتيما)عن جارها الذي انقلب ذئبا.. وعن أخته التي كانت يوما صديقتها.. كانتا تذهبان إلى المدرسة كل صباح، تحلمان سويا بالغد، تبتسمان للحياة.. هجم

عليها جارها.. وهي في مهجعها.. هجم عليها مع أقرانه.. كل يأخذ وطره منها بالتناوب.. غصبا وعنفا.. ولما لمحت أخته استعطفتها بصداقة جمعتهما ذات يوم.. أشاحت وجهها عنها.. كأنها لا تعرف (فاتيما).. وتركتها لقمة سائغة للذئاب.. يا الله.. من أطلق الشيطان الحبيس من قمقمه؟.. الحية تنفث سمومها.. اشطبوا كلمة (إنسان) من قواميس العالم.. اخلعوا أرديتكم وأقنعتكم الزائفة.. اكشفوا الوجه القبيح الكريه.. أميطوا اللثام.. يا الله.. وهل بعد ذلك إماطة...»[٩].

إن المؤلف في قصة«رأس الأفعى» - كما قلنا - يعالج مأساة الإنسانية كلها في عالمنا المعاصر، حيث تسيطر على العالم، القوى الشريرة، ماثلة في مجرمي الحروب، وتجار السلاح، وقوى الاستعمار..

وفي هذه القصة أيضا رسم المؤلف صورا رائعة للشهيدات المسلمات اللائي عانين أبشع أنواع التعذيب في (البوسنة) دفاعا عن عقيدتهن.. هذا التعذيب الذي وصلت وحشيته.. إلى درجة الاغتصاب.. وقد تجلى إيمان الكاتب بمبدأ«الالتزام» في هذه المجموعة القصصية، واضحا في هذه القصة، وفي قصصه التي عالج فيها قضايا الأسرة والطفولة، ولعل من أروع القصص التي تناول فيها بتعاطف وجداني فني الحياة العائلية: قصة بعنوان«حس البيت» [١٠]، وفيها تتجلى موهبة المؤلف المتميزة في تصوير الإحساس بالعزلة والفراغ، بعيدا عن الزوجة والأولاد، وتصوير قسوة العذاب النفسي الذي يمكن أن يعانيه الإنسان إذا حرم من دفء الحياة الزوجية، وفرضت عليه العزلة الموحشة في منزله، حيث يحاصره الفراغ والصمت والكآبة والإحساس بأنه أصبح يواجه أعاصير الحياة.. وحيدا.. كغصن من شجرة انبت من جذوره، وحرم من قلب يحنو عليه، ويأسو جراحه..

ويصور لنا بطل القصة، هذاالإحساس الوحشي بالعزلة والفراغ، عندما يعود إلى المنزل ذات يوم بعد أن هجرته زوجته.. ولا يجد فيه إلا الصمت الموحش والفراغ القاسي، فيقول:

«أحاول شغل نفسي بالعمل وقتا إضافيا، لأعود في المساء مهدود القوى.. أحكم رتاج البيت.. وأنام.. لكن النوم لا يزور أجفاني.. قلق دائما أتقلب على الفراش كمن يتقلب على حديد ساخن.. تحولت المرتبة القطنية إلى سطح حديدي يكسر ضلوعي.. ويرهق بدني كله.. أتقلب على كل ناحية، ثم أنهض كمن لسعته النار.. أهرول إلى كرسي.. ثم أنهض سريعا.. دوار برأسي.. أتناول قرص (أسبرين) وقدح شاي.. أحاول أن أستريح.. تناولت كتابا.. بدأت القراءة.. ولا تركيز في سطر واحد.. متعب أنا.. ارتديت ثيابي.. وخرجت إلى الشارع على غير هدى.. شارد الفكر أحيانا، متأملا السابلة أحيانا أخرى...».

وهذا الحنين الفياض المتدفق.. إلى جو الأسرة.. والحياة الزوجية.. وبراءة الطفولة.. هذا الحنين يمثل قيمة من أروع القيم الإيجابية البناءة.. في تميز البناء الفكري لهذه المجموعة القصصية.. في وقت بدت فيه نذر الانهيار والتحلل الاجتماعي في كيان الأسرة المصرية، وكثرت فيه أحداث الطلاق«والخلع» وتشرد الأطفال، وجرائم قتل الزوجات للأزواج، أو العكس... ومن ثم.. فإننا حين نجد كاتبا ملتزما بالقيم - كحسني لبيب - يقدم لنا في مجموعته هذه عددا من القصص، تدور حول (يوتوبيا) الأسرة المصرية، والطفل المصري.. فهو يذكرنا بالمدن المثالية، والفراديس المفقودة، ومن هذه القصص النبيلة، بالإضافة إلى القصة السابقة قصص:«رسوم دعاء». و«هاتوا لي بابا»، و«أحزان أدهم». و«عندما اختفت عبير»، و«رشا وعلبة الألوان»، و«الطفل والقطة»، و«طفلي وقطعة البسكويت».

حين نجد كاتبا يهتم بقضايا الأسرة والطفولة، بهذا الاحتشاد الفني والكمي، فيمثل ذلك الكاتب.. بموقفه هذا، يمثل ظاهرة تطورية في أدب القصة القصيرة، ينبغي أن يهتم بها كثيرا النقاد والروائيون وكتاب أدب الأطفال أيضا..

ولعل من أجمل القيم الفنية التي يهتم بها المؤلف في تلك القصص التي تدور حول الأسرة والطفولة: اهتمامه بخلق الحس التشكيلي، أو الإحساس بجماليات الألوان، والدعوة إلى أن تكون مناهج التعليم في المراحل الأولى من حياة الأطفال قائمة في معظم جوانبها على التعليم عن طريق اللعب.. عن طريق تنمية الإحساس بجمال الألوان.. وجمال الطبيعة.. عن طريق الرسم وعلبة الألوان.. ومن ثم.. فإن قصصا كقصص«رسوم دعاء» و«رشا وعلبة الألوان» وغيرهما.. يمكن أن تقدم بداية لمنهج تعليمي حضاري قائم على دراسة نفسيات الأطفال.. ومدى استجابتهم لفني: الرسم والموسيقى..

ثالثا: الملمح الثالث للبعد الإسلامي في هذه المجموعة القصصية: الرؤية المتميزة للواقعية فيها:

وهي رؤية يمكن أن نجد فيها - إلى حد ما - اقترابا من الفكر الإسلامي، وإن كان ظاهرها للوهلة الأولى يشير إلى غير ذلك، إنها رؤية عربية متميزة لواقع المجتمع العربي، تختلف كثيرا عن الواقعية العلمية لإميل زولا، وهي واقعية متشائمة قائمة على الفلسفة الوضعية التي لا تؤمن إلا بحقائق العلم التجريبي [١١]، ومختلفة أيضا عن الواقعية الاشتراكية القائمة على الفلسفة المادية المتطرفة في ماديتها[١٢]، إنها واقعية عربية ساخرة من الأوضاع الفاسدة، ومستندة إلى إيمانها القوي بقيمها الروحية.. إنها واقعية تصور رؤية إنسان عربي مسلم غاضب لقضية الفقراء الضائعين في مجتمع الانفتاح.. ومجتمع العولمة والتغريب..

وفي بعض قصص هذه المجموعة.. نجد لمسات فنية.. كأنها لوحات رسمت بريشة فنان ساخر.. إن هذه اللمسات التصويرية، تقوم على تحليل عميق.. وبسيط أيضا.. لنفسيات بعض أبطال قصصه المطحونين المهمشين، الذين أرغمتهم تناقضات المجتمع الظالم، أن يعيشوا منزوين.. مطاردين.. على هامشه.. ومن هذه الشخصيات المهمشة: شخصية (أدهم) في قصة«أحزان أدهم» حيث تبدو ملامح الواقعية الساخرة التي تهتم بتصوير وتحليل شخصيات مطحونة من طبقة العمال الفقراء، أو الموظفين البائسين، فأدهم الذي يعمل«ساعيا» في مصلحة حكومية، يحاول وهو شبه يائس من محاولته، يحاول شراء حذاء قديم بجنيهات قليلة.. لابنته الصغيرة (سحر) قبيل دخول المدارس، وهنا يلجأ المؤلف إلى أسلوب«المفارقة التصويرية» الساخرة، فيحاول عقد مقارنة بين محاولة (أدهم) اليائسة لشراء حذاء قديم لطفلته بجنيهاته القليلة.. ومحاولة (عنتر) الحاوي المهرج الذي يأكل الزجاج.. بعد أن يكسره بأسنانه أمام جمهور المتفرجين.. للحصول على رزقه..

كما يلجأ المؤلف إلى أسلوب(المونولج الداخلي) لتصوير عمق مأساة هؤلاء المطحونين.. ماثلة في شخص (أدهم).. ساعي الحكومة البائس.. و (عنتر) الحاوي المهرج، فيقول[١٣]:

«جبين أدهم المعروق.. بفعل المسافة التي سارها على قدميه. في عز لهيب (أغسطس) باحثا عن حذاء رخيص لسحر.. كيف التصرف.. وما معه لا يكفي لشراء حذاء؟ تمزق حذاؤها القديم، وأزف موعد بدء الدراسة.. أصابع قدميها يطل من جلد الحذاء.. ظل طوال وقته.. شارد البال.. باحثا عن حل.. وهذا (عنتر) المفتول العضلات.. يعد المتفرجين، بتحويل الجنيه إلى خمسة.. بلعبة من ألعابه السحرية، وجنيهات أدهم القليلة غير قادرة على شراء حذاء.. يستطيع (عنتر) أن يحول كل جنيه إلى خمسة».

ولنتأمل هذه الفقرة الأخرى.. التي تصور الجانب الآخر من المفارقة المأساوية.. إنها تصور (عنتر)وهو.. يمضغ الزجاج أمام جمهور المتفرجين [١٤]:

«ينتهي عنتر من مضغ الزجاج، ثم يخبط زوره بكفه عدة مرات، ويبلع ريقه؟ رافعا يده علامة الانتهاء من وجبته الدسمة.. ويتناول كوب ماء، ويشرب منه.. تنهال الأكف بتصفيق حاد متواصل، وتنهمر عليه النقود في سخاء.. دون أن يطلب.. تابع (أدهم) هذا التشجيع المادي الملموس، لا سيما أن القطع الورقية تكاثرت، فزاد رصيده.. أعطاه أحد الواقفين جنيها كاملا.. يا بختك يا عنتر.. تستطيع شراء حذاء لابنتك.. ألك بنت..؟ أوه.. أمتزوج أنت؟ أأنجبت؟ أم أنك ما زلت في حداثة سنك.. تفضل العزوبة على الزواج؟».

وحين يطحن الفقر.. مشاعر الناس.. ويطمس رؤيتهم للقيم.. ورؤيتهم للحياة.. فقد نجد فقيرا مطحونا.. يحسد فقيرا مثله - كما نراه في موقف (أدهم) المطحون.. من (عنتر) المطحون .. إنه يحسد (عنتر) البائس الذي يطحن الزجاج بفكيه أمام الجمهور، ويضطر لمضع الزجاج وابتلاعه، ليضمن رزقا من هذا الجمهور.. فهو.. يغامر بحياته.. من أجل دريهمات معدودة.. ومع ذلك فالساعي المسكين (أدهم)يحسده.. على تلك السعادة الموهومة.. والرزق الوفير.. الموهوم.. أيضا.. وتبلغ هذه المأساة ذروتها في هذه القصة.. حين نرى ذلك الساعي البائس.. يبيع«دبلة الزواج».. ليشتري حذاء قديما لابنته..

ولعل مثل هذه الشخصيات المهمشة المطحونة.. تذكرنا - إلى حد ما - ببعض شخصيات الروائي الفرنسي (بلزاك) في«الكوميديا البشرية»[١٥].. وإن كان هناك اختلاف (أيديولوجي) كبير بين الواقعية عند (بلزاك)والواقعية العربية عند (حسني لبيب) - كما أوضحت سابقا -.

وقد نجد ظاهرة المفارقة التصويرية الساخرة، ماثلة بعنف مرة أخرى.. في قصة«معاناة» حين يقارن المؤلف بين تاجر الفاكهة الناجح في تجارته، لأنه يجيد عرض فاكهته بأسلوب قائم على الخداع والتمويه، حيث يعرض فاكهته عرضا قائما على التمويه والتحايل، فتظهر الثمار الجيدة للمشتري الساذج، بينما تختفي الثمار المعطوبة.. يقارن المؤلف في قصة (معاناة) بين هذا التاجر المخادع الناجح في تجارته، والروائي الموهوب الذي يريد أن يقدم الحقيقة للناس، ويرفض التحايل والخداع، وتصل هذه المفارقة المأساوية، إلى أعمق أعماقها حين نجد (الفاكهاني) يأخذ كمية من كتب الروائي الملتزم، زاعما له أنه سيعرضها في محله.. أملا في بيعها للقراء.. ثم.. يحولها.. فجأة.. لقراطيس تباع فيها فاكهته..

وهنا.. نجد في هذه القصة أيضا.. السخرية اللاذعة من مجتمع لا يقبل على القراءة.. حتى لو وصل إليه الكتاب بأيسر الطرق.. وما أعمق المأساة في هذه المفارقة اللاذعة.. حين تتحول.. أعمال المبدعين الروائيين.. ماثلة في أوراق كتبهم.. إلى قراطيس فاكهة.. أو.. قراطيس لب وترمس..

ما يريده المؤلف هنا.. ليس مجرد تصوير لتناقضات المجتمع، وملامح التلوث الفكري والخلقي التي تعتوره..ولكنه يريد بمثل هذه المفارقات الحادة.. إيقاظ المجتمع.. ما يشبه إحداث انتفاضة وجدانية وفكرية.. صحوة لمشاعر الناس.. وفي هذا التيار يمكن أن نشير إلى عمق تصويره أيضا لقضايا: الحرية، ومقاومة الاستعمار، وقضايا المصير العربي في مختلف أرجاء هذا الوطن.. ولعل أبرز قصة تناول فيها أبشع مأساة هزت ضمير الأمة العربية، هي: قصة بعنوان«هاتوا لي.. بابا» التي صور فيها مأساة أبناء مصر في العراق.. في أثناء حرب الخليج..

وبعد.. فنحن أمام روائي عربي متميز.. له اتجاهه الخاص.. ورؤيته الذاتية للكون والحياة.. والأدب والفن. مؤمن بالقيم النبيلة،ملتزم بها في فنه.. يجيد التقاط الزوايا التي يصور منها قضاياه وأفكاره، كما يجيد رسم شخصياته وتحليلها.. ساعيا في كل إبداع جديد.. إلى أن يقدم واقعنا الحيوي.. في صورة جديدة.. تمثل صدمة جديدة.. تفاجئنا.. وتدهشنا.. ولكنها تدعونا.. من جديد.. إلى تأمل واقعنا.. ودراسته.. من جديد.. ■

الهوامش:

(١) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، ص٦٢٢. الدكتور محمد غنيمي هلال.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩٣ وما بعدها.

(٣) انظر:«تاريخ الأدب الروسي»، ص ٤٩٨. تأليف م. هوفمان M. Hofman نقلا عن:«المدخل إلى النقد الأدبي الحديث»، ص ٥٩٢.

(٤) من رسالة يتحدث فيها عن غايته من قصة«الإخوة كارامازوف». انظر المرجع السابق، ص ٦٢٢.

(٥) مقدمة مجموعة قصص«نفس حائرة»، ص١٠.

(٦) انظر:«ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر» ج١ . د. عبدالغفار مكاوي، ص ٤٥ وما بعدها.

(٧) سارتر: مفكرا وإنسانا، ص ٢٥٥، للدكتور مجاهد عبدالمنعم مجاهد - وآخرين.

(٨) قصة«معاناة»، ص ٧٢.

(٩) قصة «رأس الأفعى»، ص٨٨.

(١٠) قصة«حس البيت»، ص٥٦.

(١١) انظر:«المذاهب الأدبية في النقد الأدبي الحديث»، ص ٩٢، وما بعدها. دكتور سعد دعيبس.

(١٢) انظر: المرجع السابق، ص ٩٥ وما بعدها، وانظر:«فن الشعر» للدكتور إحسان عباس، ص١٢٢.

(١٣) قصة«أحزان أدهم»، ص ١٠٨.

(١٤) المرجع السابق، القصة نفسها، ص ١١١.

(١٥) انظر: المذاهب الأدبية في النقد الأدبي الحديث»، ص ١٠٠ وما بعدها.